

القبر والتابوت الفرعوني الذى لم تستطع الفكك منه (من عجب انه يتسع للنكات والضحكات ، ان السياح يقصدون طيبة وقاعة المومياوات فى المتحف المصرى ويغفلون عن القبور والتوابيت والمومياوات الحية !) أهو سجن العمر الموروث ؟ وهل كانت كل كتاباتك لظما فى مآتمك الأزل - نصبتة « معات » الربة لكن نسيته ؟ ها أنت ذا بعد آلاف الصفحات وآلاف الليالى الوحيدة تدرك فجأة أنك لم تخرج من التابوت ولم تستطع أن ترحزه لأن الأجداد صنعوه من ضلوعك . تفتح عينيك فجأة - بعد قوات العمر - عتري الكتب تحيط بك ، سورا شائكا غرسته بنفسك فحرم عليك بستان الحياة . صور لك الوهم ان الحياة كتاب وان الكتاب حياة ، لم تدر الا وقد أصبحت مجلدا يمشى على قدمين . ينطح صخر الواقع بأحلام ليست هى أحلامه . عند أول ريح تطايرت الأوراق . عند أول صدمة غرقت كما غرق تراث أجدادك فى مياه دجلة والبحر الأبيض . فتشتت عن طوق النجاة . آه لو كنت كتبتة ! كتابك أنت لا ما نقلته عن الآخرين . لربما كان أغاثك أو خف اليك كقارب نجدة . يا نوح العجوز ! لا عاصم اليوم من الطوفان . يا نوح ، لم لم تصنع سفينتك ؟ دموعك الآن هى الطوفان . فالجأ قبل قوات الوقت الى حائط مبكك . لكن حاول أن تبكى بدموعك أنت . أن تتعري فى الريح أمام المكتبة المحترقة . أقم الحائط وابك عليه . . فلعلك يوما تتطهر . .

« الناس جميعا فرحون . كأنهم يشاركون فى وليمة ، كأنهم ذاهبون الى مهرجان الربيع . أنا وحدى أرقد فى سكون ، أشبه بطفل صغير . لم يبتسم مرة فى حياته . أنا وحدى متعب ، حزين القلب ، مضيق كآنى بلا هدف ، أنا وحدى غير الآخرين » - سطور من كتاب ترجمته منذ سنين (١) . أهنأك شئ يصدق عليك مثلها ؟ الاكتئاب كان قدرك . أمك المسكينة كانت تسميك مالك الحزين . كنت لا تبكى وتنشج الا فى الإفراح . أيها السم الأسود ، من الذى خلطك بدمى ؟ أهذا هو الذى قربك من الشعر ؟ عرفت مبكرا أنك أفلست فيه . أهذا هو الذى جعله يلزمك كظلك فأخذت تنقله الى لغتك ؟ سودت عنه مئات الصفحات . تجولت فى جزره البعيدة والقريبة (فى العام الماضى منحوك الجائزة - فضلا منهم وكرما - فأغرقتك فى مزيد من الاكتئاب) . يا أوديسيوس الخائب . سدى كانت مغامراتك . الحوريات كذبت عليك . الرحلة كانت مضيفة للعمر . وعزفت على قيسار لم تصنع أوتاره . لا لم يصنع لك . هل تعجب بعد رصورك ايتاكا أن تتنكر « بنيلوبة » لك ؟ أن تهتف بك : « لا لست الزوج ! والتوب الواعد لم يغزل لك . لم أنفق فيه العمر لكى أنتظرك » .